موسيقانا المصرية والشباب فى ظل العولمة

أ . د / نبيل شوره *

شباب اليوم . . . هم رجال الغد . . . هم قادة المستقبل . . . هم ركيزة الإنسان المصرى المتطلع لغد أفضل .

الشباب مرحلة زمنية انتقالية من الطفولة والصبا إلى الرشد ، إلى الشباب اكثر الفئات العمرية تأثيرا على بناء المجتمع ...

الشباب مرحلة عمريه تتميز بالقابلية للنمو من النواحى الجسمية والاجتماعية والنفسية والعقلية ... وفترة لتنمية الشخصية بصورة متزنة وشاملة .

الشباب مرحلة يسهل فيها التعليم والقدرة على الخلق والابتكار وبالتالى القدرة على إحداث التغيير وتنمية اقتصاد المجتمع وتطويره من أجل مستقبل أفضل .

الشباب ، مرحلة زمنية يستطيع فيها الفرد صقل هواياته بالمعرفة والاستفادة منها

الشباب فترة حوارية للأخذ و الرد نستطيع أن نغرس من خلالها عقائد وحقائق جديدة إيجابية عن طريق الحجة والبينة والفهم والتحليل والتفسير والتقويم .

والفن حضارة ، فعالية إبداعية راقية ، تدل على مستوى رقى الإنسان ، الفن لغة تعبيرية مرتبطة بروح الأمة . . فالفن قومى يرتبط بروح الأمة وتراثها وتاريخها وظروفها ، وعندما يدخل إليه العالم والموسيقى كفن جميل رفيع لها دور كبير فعال فى حياة الشباب

* أ.د نبيل شوره ، رئيس قسم الموسيقى العربية (سابقا) ووكيل كلية التربية الموسيقية لشئون خدمة المجتمع تنمية البيئة – ٢٧ شجرة الدر – الزمالك – القاهرة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهى تسهم فى تنمية قدرتهم على التحكم والتكيف للبيئة ، لذا لا يمكن الاستغناء عنها فى تنمية ميوله وحاجاته الجسمية والعقلية والوجدانية .

ولا بد من أن نقدم للشباب موسيقاهم فى ثوب يجمع بين الأصالة والمعاصرة فالأصالة تحقيق عمل فنى ينتمى إلى شخصية تراثية متميزة بأسسها وتقاليدها الجمالية ، أما المعاصرة فهى معايشة الظروف الراهنة والتطلعات المستقبلية وذلك بالانفتاح على تيارات الثقافة والعالم .

وموسيقانا المصرية ترجع إلى أصول وجذور عريقة ، انبثقت عن مراحل تطور متعددة ، حيث تأثر الإنسان المصرى بتراثه الأصيل عبر فنون متعددة من الفن الفرعونى والقبطى والإسلامى ، مرورًا بقنوات الاتصال مع الغرب وتأثرًا بفنانين مستشرقين وإرسال بعثات لتقلى العلوم . . وكان الفكر الموسيقى ومناهله الأصيلة هو الركيزة الأساسية لتأكيد فرادة الفنان المصرى الذى تتضمن موسيقاه قيمًا جمالية فريدة متميزة ، فموسيقانا المصرية موسيقى إنسانية حيث تعتمد المقياس الإنسانى ليس الشكلى المرتبط بنسب الإنسان ، بل تفى المتطلبات الروحية والمعنوية ، موسيقانا موسيقى هندسية تعكس تقدمًا كبيرًا فى استيعاب وإدراك العلاقات والنظم الرياضية والهندسية ، موسيقانا وظيفية يتبع فها الشكل المضمون بحيث يأتى نتاجًا صادقًا يمثل الوظيفة التى يؤديها اللحن .

عندما نتتبع تاريخ موسيقانا المصرية عبر العصور وعلى مدى أكثر من خمسة آلاف عام ، نحس بالفخر من خلال تعرفنا على تراث موسيقى أصيل له جذور عميقة متشعبة . . . تراث حضارى يزرع الثقة فى نفس الإنسان المصرى . . . يقوى إيمانه يحفزه لبناء مستقبل مشرق لموسيقاه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد وثّق المصرى تراثه الموسيقى تاريخيًا ، حيث عرفت مصر الوثائق التاريخية قبل كثير من شعوب العالم وأن هذه الوثائق تغطى معظم عصور التاريخ منذ العصر الفرعونى حتى العصر الحديث ، فقد توصل المصريون إلى معرفة الكتابة ، حيث بدأ المصرى يعبر عن حاجاته أو أعماله أو أفكاره ، ويثبت ذلك على لوح من الحجر أو قطعة من العاج ، أو على جدران المعابد والمقابر .

وبعد أن توصل المصريون إلى صناعة الورق من نبات البردى ، تم التسجيل عليه لكافة أمورهم الدينية والدنيوية ، وكتبوا بلغات وخطوط متنوعة .

وفى ظل الحضارة الإسلامية أثرت موسيقانا وتأثرت بلهجات موسيقية مختلفة عبر مختلف العصور . . إلى أن كان التزاوج لتصبح موسيقانا المصرية جزء لا يتجزأ عن الموسيقى العربية ولكن بفكر مصرى طوّر هذه الموسيقى رويدًا رويدًا وأصبحت موسيقانا المصرية رائدة الموسيقى فى العالم العربى فى معظم الفترات .

كانت الموسيقى المصرية عند الفراعنة فنًا مقدسًا فى المعابد ، كان المصريون ينشدون التراتيل للآلهة ، وتواجدت الفرق الموسيقية الكبيرة وكلها من الكهنة بجانب مختلف أنواع (الهارب) والعود والناى والأرغول والمزمار المزدوج والطبول مع النقر بالأصابع والتصفيق بالأيدى .

لقد تضمنت الأغانى فى مصر القديمة تراتيل وترانيم وأناشيد بجانب الأغانى الدنيوية والمراثى الجنائزية .

نهلت موسيقانا المصرية من مورثوها عبر مختلف العصور متأثرة بمختلف الحركات التجديدية مؤكدة فى الوقت ذاته خصوصيتها المتميزة نغميًا وإيقاعيًا ، محافظًا على تقاليدها الراسخة وتمر القرون قرنًا بعد قرن وموسيقانا المصرية تؤثر وتتأثر ، تنمو وتزدهر ، وتغيب أحيانًا .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعندما أوشك القرن التاسع عشر على الانتهاء ، تواجدت بوادر نهضة فى فنون موسيقانا المصرية تمثلت فى تصير الموسيقى والغناء حيث تم التخلص نسبيًا من تأثير الموسيقى التركية ، ومن رواد هذه النهضة نذكر الحامولى ومحمد عثمان وداود حسنى وسيد درويش وزكريا أحمد ومحمد القصبجى ومحمد عبد الوهاب والسنباطى .

تبلورت ألوان موسيقانا المصرية ما بين أشكال غنائية وأشكال آلية ، فمن الأشكال الغنائية نذكر الموشح والدور والقصيدة والموال ومن الأشكال الآلية نذكر الدولاب والسماعى واللونجا والتحميلة والمقطوعة الموسيقية .

كان لموسيقانا المصرية بما تحتوى من تراث غنائى أصيل ملامح خاصة ففى القرن التاسع عشر كانت تراثًا سماعيًا شفاهيًا ولم يتواجد نظامًا متكاملاً للتدوين الموسيقى ولم يكن هناك تنظيرًا مقامى منهجى أو مخطط تعليمى مستقر ، ففن الموسيقى والغناء كان يمارس كفن عملى تطبيقى ، وكان رواد الموسيقى والغناء وأساتذته من الفقهاء الذين بدءوا بحفظ القرآن الكريم وتجويده ، ثم اتجهوا نحو الموسيقى والغناء ، وذلك أدى إلى الارتقاء بمستوى الغناء المصرى انطلاقًا من مدرسة المشايخ . وفى النصف الأول من القرن التاسع عشر كان الرجال يميلون إلى الحدة والطبقات الصوتية العالية بينما استخدم النساء بوجه عام طبقات صوتية منخفضة نسبيًا .

ونشير إلى أنه كان يوجد أهدافًا تعليمية لمدرسة المشايخ تربى عليها رواد التلحين والغناء فى موسيقانا المصرية ، كتلاوة القرآن الكريم بأسلوب إلقائى شبه منغم ، يلتزم بقواعد قراءات القرآن الكريم وتجويده .

وكان شروط الغناء فى هذه المدرسة النطق الواضح السليم والتنفس المرن الطبيعى الصحيح والتعبير والوضع أثناء الغناء .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفى الربع الأول من القرن العشرين ، ظهر ثلاثة اتجاهات للغناء المصرى :

أ) المسرح الغنائى ب) الغناء الهابط جـ) الغناء الصوفى

وكان الغناء فى هذه الفترة يعتمد على أسلوبين :

أ) أسلوب سلامة حجازى (الإنشاد باللغة العربية) .

ب) أسلوب سيد درويش (الغناء الشعبى)

وفى الربع الثانى من القرن العشرين ، تنافست منيرة المهدية وفتحيه أحمد وأم كلثوم على عرش الغناء إلى أن اعتلته أم كلثوم عام ١٩٣١م بدون منازع ، فى الوقت الذى اعتلى فيه محمد عبد الوهاب عرش الغناء من الرجال .

أهم الخصائص المميزة للموسيقى والغناء فى النصف الأول من القرن العشرين :

-أن ظهور أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب كان لهما أثرًا فى وضع تقاليد خاصة بالغناء المصرى وأسلوب صياغة الألحان وظهر الاهتمام بتلحين الأوبريت والديالوج والمونولوج .

لقد تبنى محمد عبد الوهاب ومحمد القصبجى التطور الجرىء لموسيقانا المصرية بالاتجاه إلى التعبير واستخدام التوزيع الموسيقى .

وفى الربع الثالث منه القرن العشرين ، كانت ثورة يوليو ١٩٥٢م فانعكس الوضع السياسى والوطنى على مضمون وشكل الأغنية المصرية وساهمت القوانين الاشتراكية عام ١٩٦٠م فى ظهور الصور الغنائية الوطنية التى أداها عبد الحليم حافظ (صورة - بلدى . . . .) ، كما كان افتتاح التليفزيون عام ١٩٦٠م طوّر كبير فى تسليط الأضواء على موسيقانا المصرية . . . كما ظهر مجموعة من الملحنين المتميزين مثل الموجى وكمال الطويل وبليغ حمدى ليواصلوا تطوير موسيقانا وألحانها من خلال صوت عبد الحليم حافظ وغيره من المطربين والمطربات بجانب مسيرة التطور الثورى الذى استمر فيه محمد عبد الوهاب ، وقد تركزت أساليب الغناء فى الربع الثالث من القرن العشرين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فى أسلوب أم كلثوم وأسلوب عبد الوهاب وأسلوب عبد الحليم حافظ ، وبتواجد هذه الأساليب تواجدت تقاليد للاستماع فأجاد الإنسان المصرى الاستماع والتذوق ، بل أصبح عنصرًا متميزًا يساهم فى تطوير موسيقانا المصرية .

ومن أهم أنواع الغناء فى هذه الفترة الأغنية السينمائية والمونولوج الانتقادى والأغانى الشعبية التى ظهرت بعد نكسة ١٩٦٧م ، كما نشير إلى تطور الفرقة الموسيقية فى هذه الفترة وظهرت مجموعة فرق موسيقية كان أهمها الفرقة الماسية بقيادة أحمد فؤاد حسن واعتمد على أسلوب تسجيل موسيقانا المصرية على أساس المصاحبة والتدريبات المستمرة للمطرب مع مجموعة العازفين ، أثمر ترانًا متماسكًا وراسخًا ومتألقًا .

وفى الربع الأخير من القرن العشرين وبعد وفاة أم كلثوم وعبد الحليم حافظ وفريد الأطرش واعتزال محمد عبد الوهاب الغناء واقتصاره على التلحين تواجد فراغ كبير مهد لظهور تجارب غنائية جديدة فى موسيقانا المصرية اعتمدت هذه التجارب على فرق (الجاز) وانتشرت فى الجامعات والنوادى حيث القاعدة العريضة للشباب ، فرقة يحيى خليل الذى ظهر من خلالها محمد منير ، ثم ظهر عمر فتحى ليغنى الأغنية السريعة التى يصاحبها الحركة ، وظهرت فرق المصريين لهانى شنودة والأصدقاء لعمار الشريعى والفور أم لعزت أبو عوف ، اعتمدت هذه الفرق على الأغنية الخفيفة السهلة السريعة المعتمدة على آلات الجاز الأوربية .

ومن أهم العناصر التى اعتمدت عليها موسيقانا المصرية الغنائية فى الربع الأخير من القرن العشرين نذكر النصوص الكلامية الخالية من المضمون الفنى الجيد والمعانى الروحية ، كلمات بلا رؤيا ولا فكر مميز ، والألحان مستهلكة تتكرر فى مقامات محدودة ، مع انفصام بين الكلمة واللحن ، يؤد الغناء أصوات لديها قصور فى التدريب عاجزة عن أداء الزخارف والزواق مسطحة تعتمد على الرقص والحركة وخفة الظل ، كما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دخل ما يسمى تجاوزًا بـ (التوزيع الموسيقى) ويتم من خلال أجهزة حديثة متقدمة تكنولوجيًا (تقنيًا) ، أما المتلقى فقد غاب المتذوق منه للفن الراقى واعتمد فى سماعه للأغنية المعاصرة على العين من خلال (الفيديو كليب) .

ومن أهم العوامل التى أثرت على موسيقانا المصرية فى هذه الفترة ، التعليم الموسيقى المتخصص وانعزاله عن الساحة الفنية والإعلام المرئى والمسموع وتشخيصه للظواهر الغنائية العشوائية وغياب النقد الموسيقى الواعى .

كما استخدم نظام (التراكات) فى التسجيل ليضيع التلاحم والتزاوج المطلوب فى نسيج الأغنية .

أ . د / نبيل محمود عبد الهادى شوره
وكيل كلية التربية الموسيقية لشئون
خدمة المجتمع وتنمية البيئة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com